المبحث الحادى عشر

إختلاف الألسنة واختلاف الألوان

« لانختلف فى ألواننا حتى يتفاخر الأبيض على الأسود أو ... أو ... بل لذلك حكمة ذكرها القرآن منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة، وأكتشفها العلماء حديثاً ».

د: مصطفى عبدالباسط
أمين عام الجمعية الأمريكية
للأعجاز العلمى فى النص
القرآن. أمريكا

من السمات المميزة للإنسان تعدد وسائل الأتصال اللغوى له، ويرجع سبب ذلك إلى اختلاف الظروف البيئية من مكان لآخر، ومن ثم يظهر الأختلاف فى اللغة المتداولة بين الإنسان، وقومه.

وتتكون اللغة من كلمات، وتتكون الكلمات من حروف متعددة تمثل أبجدية تلك اللغة، ويوجد بالمخ مركز عصبى يختص بالسيطرة على النواحى الكلامية من خلال الرسائل العصبية التى تمر من خلية عصبية لأخرى، ولايختص دور مركز الكلام فقط بتوجيه الرسالة لنطق الكلمة، بل لابد من حدوث ربط بين الأسم المنطوق والمسمَّى المقصود بهذا الأسم.

وكما يسيطر مركز الكلام بالمخ على نطق الألفاظ، فإن تشكيل الكلمات من خلال الأبجدية اللغوية يعتمد على عضو عضلى «اللسان»، والذى يؤدى حدوث خلل فى عضلته إلى فقدان القدرة على النطق رغم نشاط مركز الكلام بالمخ.

قد يعتقد البعض تشابه تركيب اللسان فى مختلف البشر، وهذا اعتقاد خاطئ من الناحية العلمية، إذ يختلف الطاقم الوراثى ـ ولو فى عدد قليل من جيناته والذى يتحكم فى التركيب التشريحى والأداء الفسيولوجى، وهذا ما يؤثر فى تشكيل النغمة الصوتية من فرد لآخر.

وكما تختلف ألسنتنا تختلف ألواننا، فمنا الأبيض والأسود والقمحى والمائل للأبيض والمائل للأسود والخمرى.... إلخ، «وهذا ليس صدفة»، بل له حكمة بالغة ويستند على أسس وراثية هامة، فلكل صفة وراثية جين أو أكثر مسئول عنها، فعند وجود هذا الجين تظهر الصفة، وعند عدم وجوده تختفى.

قد يحكم ظهور الصفة الوراثية أكثر من جين، وليس جيناً واحداً، وفى هذه الحالة لابد من تنسيق لكيفية تعبير كل جين عن نفسه، كحدوث تكامل بين أزواج الجينات، من خلال تفاعلات مشتركة بينهم تؤدى لظهور الصفة الوراثية، وغياب أحد هذه الجينات يؤدى لعدم ظهور الصفة، وفى هذه الحالة نعبر عن العلاقة بين هذه الجينات بأنها علاقة تكاملية، فلابد من تكامل بين أزواج الجينات، من خلال تفاعلات مشتركة

بينهم تؤدى لظهور الصفة الوراثية، وغياب أحد هذه الجينات يؤدى لعدم ظهور الصفة، وفى هذه الحالة نعبر عن العلاقة بين هذه الجينات بأنها علاقة تكاملية، فلابد من تكامل عديد من الأدوار الجينية لظهور الصفة.

فى حالات أخرى تكون العلاقة بين الجينات علاقة تراكمية فكلما إزداد مقدار التفاعلات والتداخلات الجينية كلما إزداد ظهور الصفة وغياب أحد هذه الجينات لا يعنى غياب الصفة، بل يؤدى لضعفها فقط، وتوارث صفة الألوان من الصفات التراكمية، والتى تتيح للأفراد الوسيطة تجديد باقى الأفراد من خلال حدوث تزاوج بينهما، فالأفراد القمحية تزاوجها له القدرة على إنجاب مختلف الألوان الأخرى كالابيض والأسود، والقمحى.... إلخ، وفى ذلك يكمن الأعجاز المحتوى فى هذا التجديد، الذى يعنى قدرة الأفراد الوسطية على تجديد باقى الألوان الأخرى فى حالة تعرض حامليها للهلاك بتغير الظروف البيئية لتعدد حالة التوازن مرة أخرى بين الإنسان والبيئة، ليظل الإنسان محافظاً على بقائه فى هذه الأرض ما قُدّر له أن يبقى.

هذه النتائج، وتلك الاستخلاصات لم نستطع كشفها إلاَّ بعد تقدم علوم التشريح ووظائف الأعضاء والوراثة، والوراثة الفسيولوجية.... إلخ.

لكن القرآن عبر عنه منذ أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان بكلمات شاملة جامعة مفيدة حيث يقول الحق تعالى فى القرآن فى الآية (٢٢) من سورة الروم:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لأُوْلِى الأَلْبَابِ﴾.